سلسلة اصدارات الصالون الثقافي العربي / ٨

د. مصطفى الفقي

رائد التحديث
في الفكر السياسي العربي

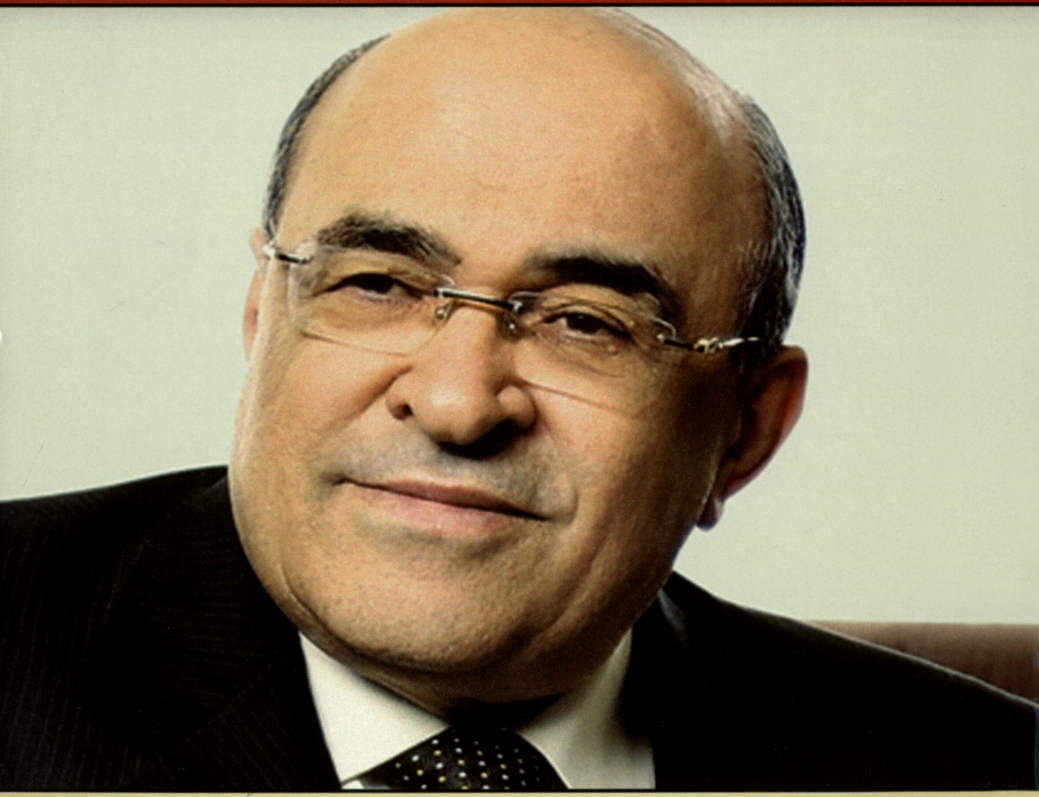

الصالون الثقافي العربي

آفاق للنشر والتوزيع
AFAQ BOOKS

مصطفى الفقي

عرفت الدكتور مصطفى الفقي من خلال مقالاته التي ينشرها في العديد من الصحف العربية قبل وصولي إلى مصر بسنوات. وكنت أتابع ما يكتبه باعتباره واحدًا من المفكرين المتخصصين بالشأن المصري بقدر متابعته للشأن العربي، ومهتمًا برؤيته للواقع العربي من منظوره المصري. وكان الدكتور مصطفى الفقي من بين أوائل الذين تعرفت إليهم بعد وصولي إلى مصر، ألتقيه في المناسبات الاجتماعية والثقافية والسياسية على حدٍ سواء، وقد لفت انتباهي حضوره، كما أثارت انتباهي شخصيته التي تجمع بين التحليل النفاذ والسخرية المعبرة، بالإضافة إلى صراحته في الحكم على الأمور والأشخاص، الأمر الذي كبده العديد من الخصومات والإساءات، وكما يقول فإن صراحته قد عادت عليه بالضرر.

وأكثر ما كان يثير تساؤلي وإعجابي حضوره في أماكن متعددة في وقت واحد إذا جاز التعبير، وأكثر من ذلك إعجابي بمعرفته الدقيقة

بأحوال مصر والعرب، وخبرته بالسياسات ودقائق الأمور، وملاحظاته العميقة في تعليقه على الأحداث والرجال.

وبالرغم من انشغاله باليوميات السياسية ومراقبته للأحداث، إلا أن ذلك لم يبعده عن متابعة شؤون الفكر التي تتخطى الوقائع المباشرة، وبالرغم من أنه حصد خلال مسيرته بعض الإخفاقات، إلا أن ذلك لم يفقده تقييمه الموضوعي للأمور، وهو يعترف للآخرين بفضائلهم حتى لو سبق أن أساءوا إليه.

ومصطفى الفقي محدث، إذا تكلم ينصت الحاضرون عن طيب خاطر ويطالبوه بالمزيد من الأخبار والتعليقات التي تتراوح بين الذكريات والأخبار الطازجة. بل الأخبار التي لم تحصل بعد والتي ستحصل في أقرب الأوقات.

ويدهشني في شخص مصطفى الفقي تواضعه، وبالرغم من حضوره المميز والطاغي في المجالس، فإنه يعرف الإنصات والاستماع، ولديه نظرة ثاقبة إلى الأشخاص الذين يلفتون انتباهه، وإذا كان لا يعرف كل من هو حاضر في المجلس، فإن الكل يعرفه.

ومصطفى الفقي علم من أعلام مصر، فلا خلاف على تميزه. برز تفوقه منذ أن كان طالبًا جامعيًا كما يخبر بذلك زملاء دفعته. وتنم مسيرته عن شخصية متعددة المواهب، فقد حاز جوائز التقدير منذ أن كان يافعًا، من بينها الجائزة الأولى في المقال السياسي. وتابع مسيرته

الأكاديمية حتى نال شهادة الدكتوراه من جامعة لندن. وعمل دبلوماسيًا في العديد من العواصم. وكان قريبًا من صانع القرار حين عين مستشارًا للرئيس المصري حسني مبارك، وهو أستاذ جامعي وزميل في العديد من الجمعيات العلمية والسياسية. وما يهمني في هذه المناسبة هو مصطفى الفقي الباحث والمفكر، صاحب العديد من المؤلفات بينها الرهان على الحصان - العرب الأصل والصورة - الرؤية الغائبة - تجديد الفكر القومي - من نهج الثورة إلى فكر الإصلاح. فضلًا عن أطروحته عن الأقباط ومن خلال شخصية مكرم عبيد.

في كتاب الرهان على الحصان الذي نشره في نهاية الألفية السابقة، وضمّنه مقالات ودراسات تنظر إلى الماضي وتستشرف المستقبل، يتحدث الفقي في نوع من الاعترافات الذاتية ناظرًا إلى تجربته وتكوينه. علمًا بأن الاعترافات هي نوع من الأدب الفلسفي عرفه تراث الإنسانية من القديس أوغسطينوس إلى جان جاك روسو، وفي اعترافاته يستلهم الباحث والمفكر المصري لويس عوض، مشيرًا إلى موضوعيته وشفافيته. يرى الفقي أن ما ميز شخصيته هو القلق والتأمل والفضول والموضوعية. وبطبيعة الحال فإن الإنسان يعرف نفسه أو ينظر إلى نفسه بطريقة تختلف عن نظرة الآخرين إليه، خصوصًا أنه أجرى نوعًا من التحليل النفسي الذاتي، فهو يدرك أنه إنسان قلق - بينما لا يراه الآخرون كذلك ويعرف أنه يداري قلقه ويخبئه بالسخرية رغم المعاناة.

وأهم ما يميز شخصية الفقي هو الفضول، وأظن أن الفضول هو بداية المعرفة، وكذلك الموضوعية التي تدفع إلى نوع من الحيادية في الحكم على الأمور والأشخاص.

كانت نهاية قرن وبداية قرن آخر مناسبة لتقييم ما أنجز في القرن العشرين، وإبداء التوقعات بالنسبة للقرن الذي يليه. من محاضرة روبرت مكنمارا إلى تقييم إنجازات القرن العشرين باكتشافاته ، حيث نلمح لدى مصطفى الفقي القدرة على الجمع والتلخيص، فملامح القرن العشرين تبرز في :

صعود دور الولايات المتحدة الأميركية - صعود وهبوط الماركسية- حركات التحرر الوطني - التقدم العلمي.

يضيف: «إن القرن العشرين هو قرن الحريات العامة وحقوق الإنسان... وإقرار مبدأ المساواة الكاملة بين البشر ولو من الناحية النظرية على الأقل، كما أنه عصر التنظيم الدولي والإقليمي».

ماذا عن المستقبل ومستقبل مصر على وجه الخصوص. يرى في هذا المجال أهمية التعليم ومناقشة السياسة التعليمية، والتدريب المهني إلى جانب الجامعي. فضلًا عن البحث العلمي.

وينظر إلى الجانب الاقتصادي السياسي بربطه بالتعليم أيضًا يقول: «إن الحديث عن مستقبل السياسة والاقتصاد في مصر يستتبع بالضرورة تطورًا أساسيًا في النوعية البشرية المصرية، ونعني بها الإنسان من حيث

مؤهلاته الحقيقية للحياة المصرية السليمة، وحيازته لأدوات التعامل مع معطيات الدنيا حولنا، وهو أمر يقتضي عناية واهتمامًا بالغين بقضية التعليم».

وبالمقارنة مع اليابان يتحدث عن صناعة المستقبل ويشير إلى معاناة هجرة العقول من البلدان النامية في ظل دخولنا في عالم جديد بكل المعاني، ويعود إلى مسألة التعليم خصوصًا العالي لخوض معركة التنمية البشرية، إلى الحديث عن الثورة العلمية التي أحدثت فجوة بين الأجيال، وتجاوزت إلى طبيعة القيم الموروثة ذاتها.

وأظن أن الدكتور الفقي قد وضع يده على النقطة المركزية في أي تقدم تصبو إليه أمة من الأمم وتسعى إلى إحرازه، وهي التعليم والبحث العلمي.

في مقالاته عن المستقبل يتطرق إلى التكنولوجيا وآثارها على الحرية الشخصية وارتباطها بالعولمة، ويتطرق إلى المستقبل السياسي، ويقول: يبدو أننا سوف نشهد قريبًا عملية فتح الستار على معطيات مختلفة وافتراضات غير مسبوقة بما يستتبع ميلاد رؤى جديدة، والأمر يستدعي عملية تمحيص واعية لكل ما يدور حولنا، ورصد دائم لكل الدلالات التي توحي بأن التغيير قادم».

لم يكن أحد يتكهن أو يتوقع أن يجري ما جرى في العالم العربي في السنوات الثلاث الماضية، إلا أن القارئ في السياسة مثل مصطفى

الفقي يتوجس ويترقب ويستشرف، فالتغيير كان لابد من حدوثه وإن جرى بطرق لم تكن متوقعة.

قارئ مصطفى الفقي يلاحظ أنه في كتاباته عادة ما يجزئ الموضوع إلى نقاط مستقلة ومترابطة، وهذه الطريقة تعكس منهجًا عقلانيًا في ترتيب الأولويات في كل قضية من القضايا، حسب المنهج العقلاني الذي يمضي من البسيط إلى المركب، وتفكيك كل مسألة إلى أجزاء من أجل إعادة تركيبها.

وما نأمله هو أن يتفرغ مصطفى الفقي أكثر وأكثر من أجل قراءة واقع مصر والواقع العربي في هذه المرحلة الدقيقة والمهمة من التحولات التي تشهدها أمتنا. وهو يملك من المعطيات، ومن القدرة على ربط الوقائع وقراءة المتغيرات، ما يمكنه من أن يقدم لنا رؤية عميقة لهذا الواقع العربي وآفاقه المستقبلية.

خالد زيادة

مفكر ومؤرخ وسفير لبنان في مصر

٢٠١٤

هذا الكتاب

عرفت الدكتور مصطفى الفقي من خلال مقالاته التي ينشرها في العديد من الصحف العربية قبل وصولي إلى مصر بسنوات. وكنت أتابع ما يكتبه بإعتباره واحداً من المفكرين المتخصصين بالشأن المصري بقدر متابعته للشأن العربي، ومهتماً برؤيته للواقع العربي من منظوره المصري. وكان الدكتور مصطفى الفقي من بين أوائل الذين تعرفت إليهم بعد وصولي إلى مصر، التقيه في المناسبات الاجتماعية والثقافية والسياسية على حدٍ سواء، وقد لفت انتباهي حضوره، كما أثارت انتباهي شخصيته التي تجمع بين التحليل النفاذ والسخرية المعبرة، بالإضافة إلى صراحته في الحكم على الأمور والأشخاص، الأمر الذي كبده العديد من الخصومات والاساءات، وكما يقول فإن صراحته قد عادت عليه بالضرر.

وأكثر ما كان يثير تساؤلي وإعجابي حضوره في أماكن متعددة في وقت واحد إذا جاز التعبير، وأكثر من ذلك إعجابي بمعرفته الدقيقة بأحوال مصر والعرب، وخبرته بالسياسات ودقائق الأمور، وملاحظاته العميقة في تعليقه على الأحداث والرجال.

خالد زيادة

الصالون الثقافي العربي